الاحتلال الأسباني لولاية طرابلس الغرب 1510-1530م

The Spanish Colonization of the State of western Tripoli (1530 – 1510)

إعداد

Prepared by

الدكتور/ علي أبوخزام محمد

Dr. Ali Abokhzam Mohammed

كلية الآداب . قسم التاريخ

Department of History, Faculty of Arts

جامعة سبها ـ ليبيا

Sebha University, Sebha, Libya

dr.ali_abokhzam_mohammed21@yahoo.com

مستخلص

احتلت طرابلس الغرب أهمية بارزة بحكم موقعها الجغرافي الذي يقع على البحر المتوسط حتى أصبحت مركزاً تجارياً مهما مما ادى إلى تعاقب الدول عليها إلى أن أحتلها الإسبان بتاريخ 25 يوليو 1510م، بقيادة (دون بيدرو دي نافارو) بعد مقاومة شرسة مع أهالي طرابلس الغرب، فقتلوا وأسروا أعداد كبيرة من السكان بدعم من رجال الدين التي كانت نشأتهم دينية كاثوليكية اشد تعصباً من البابا نفسه، وكانت للقيادة الإسبانية أسبابها في اختيار الموانئ الليبية لأهميتها وعقب وفاة الملك (فرديناند) عام 1516م ، تولى حفيده شارل الخامس عرش الإمبراطورية الإسبانية وتراجع النشاط التجاري في ميناء طرابلس في ظل الاحتلال الإسباني، ويعود ذلك إلى الضرائب الإسبانية التي فرضت على السفن التجارية القادمة إلى طرابلس، ونتيجة لسياسة الحامية الإسبانية توجه الوفد الليبي إلى الاستانة لطلب مساعدة من السلطان سليمان القانوني عام 1520م لإنقاذ بلادهم من حكم الإسبان وبسبب الغارات المتكررة على الحامية الإسبانية في طرابلس الغرب، ولانشغال الامبراطور شارل الخامس بمحاربته ضد اللوثريين في ألمانيا وبحروبه مع الملك فرانسوا الأول في فرنسا، قرر الامبراطور شارل الخامس تسليم طرابلس لفرسان القديس يوحنا، مع ضمان بقاء طرابلس تحت سيطرته، وافق فرسان القديس يوحنا على هذا الاتفاق عام 1530م وأصبحت طرابلس تحت حكم فرسان القديس يوحنا.

الكلمات المفتاحية: الإحتلال الأسباني ـ الولاية .

Abstract

Western Tripoli occupied a prominent importance due to its geographical location, which is located on the Mediterranean Sea, it became an important commercial center, which led to the colonization from several countries, until the Spanish colonized it on July 25, 1510, AD, the Spanish were led by Don Pedro de Navarro after fierce resistance with the people of Western Tripoli, so they killed and captured many numbers of the population with the support of the clergy, whose upbringing was a Catholic religious fanatic more Then the Pope himself, and the Spanish leadership had After the death .its reasons for choosing the Libyan ports because of their importance of King Ferdinand in 1516 AD, his grandson Charles V took the succession of the throne of the Spanish Empire, and commercial activity declined in the port of Tripoli under the Spanish occupation, due to the Spanish taxes imposed on merchant ships coming to Tripoli. As a result of the policy of the Spanish garrison, the Libyan delegation went to Astana to request assistance from Sultan Suleiman El Qanoni in 1520 AD to save their country from the rule of the Spanish. Because of the repeated raids on the Spanish garrison in Tripoli in the West, and Emperor Charles V's preoccupation with his fight against the Lutherans in Germany and his wars with King Francois I in France, Emperor Charles V decided to hand Tripoli over to the Knights

of Saint John, with ensuring that Tripoli remains under his control, the Knights of Saint John agreed to this agreement in 1530, and Tripoli came under the rule of the Knights of Saint John.

Key words: Spanish occupation - the state

المقدمة

ارتبطت السنوات الأخيرة بتزايد الاهتمام بدراسة تاريخ طرابلس الغرب في الأوساط العلمية واحتلت طرابلس الغرب أهمية بارزة، بحكم موقعها الجغرافي، الذي يقع على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط حتى أصبحت مركزاً تجارياً لأهميتها الاستراتيجية، مما ادى إلى تعاقب الدول والامبراطوريات عليها، بدأ من الدولة الحفصية.

شهدت طرابلس الغرب خلال خضوعها للأمراء الحفصيين اضطراباً في أوضاعها العامة، نتيجة الصراع الدائر في مناطق افريقيا الشمالية ، استمرت مناطق المغرب العربي تعيش حالة تصارع داخلي ولاسيما الخلاف التونسي الطرابلسي الذي توقف نتيجة سأم الطرفين من الاقتتال ، ومع إنهيار مملكة الحفصيين ، شكلت مناطق المغرب العربي ، ولاسيما المدن المهمة مثل طرابلس الغرب وقابس في تونس ما يشبه الاستقلال الذاتي، وبعد سقوط غرناطة في عام 1492م ومتابعة الامبراطورية الإسبانية لحروبهم في المغرب العربي ضد المسلمين كانت الدوافع التوسعية الاستعمارية هي التجارة، ونشر الديانة المسيحية الكاثوليكية ، وتفيد المصادر والمراجع التي تحدثت عن تلك الحقبة الزمنية ، ان إدارة طرابلس انصرفت إلى تسوية مشاكلها الداخلية ، فأقامت التحصينات والأسوار استعداداً لمواجهة أي طارئ خارجي ، لكن مع مرور الزمن وطيب عيش الأهالي في ظل الإدارة الجديدة أنساهم أمر تحصين مدينتهم ، مما جعلهم عرضة لأطماع الإسبان التي سعت لطرد المسلمين من اسبانيا وقيام الوحدة الإسبانية ، التي كان يدفعها إلى ذلك ملاحقة المسلمين والانتقام منهم ، واستمر الحكم الاسلامي على طرابلس الغرب إلى ان احتلها الاسبان بتاريخ 25 يوليو 1510م بقيادة القائد الإسباني دون بيدرو دي نافارو والحقت هذه المعركة خسائر كبيرة بالاسبان، وانتهت باحتلال القوات الإسبانية طرابلس ، بعد أن قتلوا واسروا اعداد كبيرة من السكان ، واضطر جزء كبير منهم إلى اللجوء إلى تاجوراء وغريان ومصراته وبني الوليد والجبل الغربي ، وأنهي المقاومة المحلية ودخول القوات الإسبانية إلى المدينة ، توجه القائد نافارو إلى السرايا وحول السرايا الموجود داخل القلعة إلى كنيسة سماها كنيسة القديس ليونارد ، وغادر طرابلس اتجاه الاراضي التونسية لسياسته التوسيعية في شمال أفريقيا ، فبرزت حركة الجهاد البحرية في المغرب العربي غرباً وشرقاً .

ومع توجه القوة العثمانية آنذاك نحو البلاد العربية وقد رافق هذا التزامن حدوث متغيرات دولية، منها وقوع فرنسا في صراع طويل مع المدن الإيطالية عامة والمملكة البابوية خاصة، ونشوب حروب دينية إثر وفاة الملك فرديناند، وبوصول حفيده شارل العرش، ثم أصبح امبراطور الامبراطورية الإسبانية 1519م.

وبسبب الغارات على الحامية الإسبانية في طرابلس الغرب وافق الملك شارل الخامس على تسليم طرابلس لفرسان القديس يوحنا، في عام 1530م تم تعيين القسيس جسباري دي سنقوسا وظلت الأوضاع الاقتصادية فيها على ماهي عليه وكاد فرسان القديس يوحنا أن يتركوا طرابلس الغرب لولا وساطة البابا مع الامبراطور شارل الخامس بالموافقة للسماح لهم بالمتاجرة مع الموانى التابعة له.

دور الإسبان في طرابلس الغرب 1510-1530م:

بتاريخ 25 يوليو وصل الأسطول الإسباني بحملة بحرية إلى طرابلس واحتلت السفن مواقعها، ونزل الجيش المكلف نحو المدينة تحميه مدافع الأسطول فاحتل الإسبان طرابلس بقيادة دون بيدرو دي نافارو (Don Pedro de Navarro) (فيرو،1970:80).

بعد مقاومة استبسل فيها الطرابلسيين في الدفاع عن طرابلس وعن عفاف النساء وطهارة المحجبات وبعد الاستيلاء على المدينة ، دمرت القوات الاسبانية العديد من مبانيها وقتلت واستبعدت الكثير من السكان والتي تم فيها أسر شيخ طرابلس عبد الله بن شرف وزوجته وابناؤه، وخمسمائة أسير من الأهالي، وقتل منهم حوالي ألفي طرابلسي ومن القوات الايطالية والإسبانية ثلاثمائة مقاتل والبعض الأخر التجأوا بجانب المسجد الكبير (أوغلو،1993:22) .

استمرت المعركة ساعات متواصلة وقبل غروب ذلك اليوم سقطت طرابلس وبعد سقوطها، قرر السكان الانسحاب منها، ويشير المؤرخ أوغلو طرخان في مؤلفه طرابلس الغرب عن هذه الحادثة عمل الاسبان السيف في رقاب أهالي طرابلس الى الحد الذي سقطت معه دموع القائد الإسباني نافارو امام المجازر التي لحقت بأهالي طرابلس الذين قتل منهم اعداد كبيرة وأسر منهم عبيداً إلى اسبانيا فقد قام الفاتيكان احتفالات بسقوط طرابلس وعمت الفرحة بهجة أوروبا على الانتصار (طرخان،1983:256) .

وقد شجع هذا النجاح ملوك إسبانيا على أن يدفعوا بحملاتهم ضد شمال أفريقيا دفعة قوية (Merriman,1962:108).

وتعود أسباب الاحتلال الي الصراع المسيحي الإسباني الذي يهدف إلى غزوات المسلمين العرب في شمال إفريقيا، وانتقلت طرابلس الغرب ادارياً إلى سلطة نائب ملك صقلية الذي طلب من

اتباعه دعوته للانتقال إلى افريقيا مع وعد ان يحصل هؤلاء باليرموالمستعمرون على ارض ومساكن جيدة واعفاء كامل من الضرائب. وأعفى التجار الأوروبيين من دفع الرسوم الجمركية والضرائب لمدة عشر سنوات مع مساعدات أخرى، في حين كان غيرهم من المسلمين ملزم بدفع الرسوم الجمركية في التجارة ، واصبحت المستعمرات في طرابلس الغرب بعزلة عن باقي أنحاء البلاد ، وكانت غريان وتاجوراء القاعدتين الرئيسيتين للمقاومة، واثارت هزيمة الغزو الإسباني في جربه فرحاً عظيماً بين العرب والعثمانيين (زاده،1989:327).

ويؤكد عاشق باشا زاده الدين في مؤلفه تاريخ طرابلس الغرب ، فيقول :- " انتشرت في طرابلس وباء الطاعون الذي اصابها خسائر كبيرة في الأرواح" ، ويعرج ويقول:- "في منتصف يناير سنة 1512م صارت مدينة طرابلس تابعة لصقلية ادارياً بعد ان تنازل فرديناند (Ferdinand) ملك اسبانيا عنها لنائبه بصقلية" ، فأرسل جوان فرنشيسكو ليؤمن ملكه فيها ويوطد أقدامه كما رغَّب المهاجرين في الاستيطان بها، وفي عام 1517 أهملت الحملات البحرية الإسبانية بسبب الصراعات مع فرنسا وإيطاليا (زاده،1989:341).

وفي سنة 1520م جَّرب الإسبان حظهم للمرة الثالثة في غزو جربة وكان الفشل حليفهم، وفي تلك الفترة لم يتمكن الإسبان من اجلاء أهالي طرابلس من تاجوراء وقد وجه الإسبان كثيراً من عنايتهم لإضافة ابراج أخرى للدفاع عن الميناء، فشرعوا في بناء برج المندريك عند مدخل الميناء حيث كانت توجد منارة مدينة طرابلس، أما القصر، فقد كان وجهه جزيرة يحيط بها ماء من جميع الجهات ويمتد بين القصر والمدينة جسر متحرك يدُفع ليلاً ويُمد نهاراً (أوغلو،1993:22) .
اما جان هيبولي ماريول يحدثنا في مؤلفه إسبانيا من فرديناند وايزابيلا، لقد تمكن الإسبان من إقامة دولتهم من خلال وحدة توجت بزواج فرديناند ملك الأراغون من يزابيلا ملكة قشتالة، وكانت نشأتها دينية كاثوليكية ويبدوا انها كانت اشد تدينا من زوجها وكان لها تأثيرا كبيرا كبير على زوجها الملك فرديناند حتى انها شدته ناحية تعصبها، وبذلك اصبح اشد كاثوليكيا من البابا نفسه (Hippoly,1962:323).

وعقب وفاة الملك فردنياند الكاثوليكي في 23 يناير1516م وفقدان الكاردينال اكسينيس أهملت الحملات البحرية على أفريقيا، ومع تولي حفيده شارل العرش في إسبانيا واصبح امبراطوراً للإمبراطورية الرومانية في منتصف يناير 1519م باسم الامبراطور شارل الخامس(A.S.Hume,1940:23).

بعد السيطرة على كامل شبه الجزيرة ، أعقب الغزو مرسوم فرض على المسلمين في إسبانيا التحول الديني الاجباري، إلا أن معظم هذا الاعتناق الديني كان بالاسم فقط إذا كان المسلمون

يمارسون الطقوس الدينية المسيحية، إلا أنهم استمروا في تطبيق الدين الإسلامي سراً (للحسن،57:1980).

فمثلاً بعد أن يتم تعميد الطفل كان يؤخذ إلى البيت ويتم تغسيله بالماء الحار لإبطال قدسية تعميده (Merriman,1962:114).

وأيضاً تم طرد أعداد كبيرة من العرب المسلمين من الديار الإسبانية أما بالنسبة للعرب الذين كانوا مسيحيين يُعدون كمواطنين من الدرجة الثانية (زاده،132:1989).

لم يكتفوا الإسبان بذلك، بل عمدوا إلى الانتقام من عرب الشمال الإفريقي، ومع مطلع القرن السادس عشر، الذي يواجه مصاعب تجسدت بثلاث ظواهر رئيسة: أولاً– الأزمة السياسية التي ولّدتها الأحداث نتيجة حرب العصبة المقدسة، حيث أسفر عن هذه الأزمة السياسية مصاعب اقتصادية خانقة، وثانياً– الغزو الأجنبي (البرتغالي على المغرب والإسباني على الجزائر وتونس وطرابلس الغرب). وثالثاً– ردود الفعل المحلية على الغزو الأجنبي، حيث تمثل في المغرب ببروز ظاهرة النهوض الديني مقروناً بنهوض وطني ضد البرتغاليين (طرخان،263:1983) .

في حين تمثل في الجزائر وطرابلس الغرب بالاستنجاد بالدولة العثمانية مع فروق زمنية فرضها واقع طرابلس الغرب (فارس،186:1999) .

ويعلق محمد خيرالدين فارس في مؤلفه تاريخ المغرب الحديث على الأحداث التي واجهتها مناطق الشمال الافريقي بالقول: "إن هذه الظواهر أسهمت في إيقاظ الوعي الديني والوطني كرد على المجازر التي ارتكبها الإسبان ضد الأهالي" (فارس،193:1999) .

لقد كان الحفصيون يدركون أن الإسبان يتطلعون إلى احتلال جميع مناطق الشمال الإفريقي، ومن المناسبات التي انتهزها الإسبان وقع خلاف بين أحمد الحفصي وبين والده الناصر، فذهب إلى الإسبان يستنجد بهم على أبيه (المطوى،144:1986) .

ويشير تريفورر دافيز في مؤلفه القرن الذهبي لإسبانيا، حينما استعد الإسبان لغزو طرابلس أقلع الاسطول من فافينيانا، وانضم إلى الجيش جوليانوبيلا خبير مالطي له معرفة بطرابلس وأهلها (R.Davise,1961:98).

وسقطت طرابلس في يد الإسبان بعد ان أريقت دماء اهالي طرابلس على كل منفذ بها وكان يُطلق على سواحل تلك المناطق (بربريا) (أوغلو،28:1993) .

ومع انهيار مملكة الحفصيين، شكلت بعض المدن الرئيسة في مناطق شمال افريقيا، ولا سيما المدن المهمة مثل قابس وطرابلس ما يشبه الاستقلال الذاتي، ولهذا فإن الأمر كان يقتضي من السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد بن الحسن مواجهة الإسبان والاستعداد للدفاع عن أرضه، بعدما سقطت طرابلس الغرب حيث تمكن الإسبان من احتلالها بصعوبة (برنشفيك،1988:47) .

وعندما وضع الإسبان أيديهم على طرابلس سيطروا على تجارة الميناء واحتكروها واتخذوها قاعدة لعملياتهم الحربية في البحر المتوسط وظلوا يحكمونها قرابة العشرين عاماً (الجمل،2003:82-83) .

ويؤكد مارين ساندو في يومياته نقلاً عن محمود عامر في مؤلفه تاريخ المغرب العربي الحديث ان مجموعة كبيرة من المسلمين عندما علمت بسقوط طرابلس الغرب بأيدي الإسبان، هاجموا فندق بداخله اسبان في الإسكندرية وترتبت عليه اضرار كبيرة(عامر،1987:122) .

ويذكر جان لينشي في مؤلفه إسبانيا تحت آل هابسبورغ، أن الإسبان وبزعامة بيدرودي نافارو* ولتعميق نفوذهم عمدوا إلى احتلال جربة، لكن أهالي جربة تمكنوا من تكبيد الإسبان أكثر من ألف قتيل بينهم شخصيات مهمة، فاضطر الإسبان للعودة إلى طرابلس(Lynch,1981:406).

زاد خوف الإسبان من هجمات الطرابلسيين العنيفة ، وقد أقلق الإسبان قدوم الأسطول العثماني في الساحل الجنوبي للبحر المتوسط(Bertrand,1945:256).

لقد دونت تفصيلات مهمة حول المعارك التي حدثت في طرابلس، ويذكر المؤرخ عاشق باشا زاده في مؤلفه طرابلس الغرب، أن تعداد المدافعين عن المدينة بلغ عددهم أربعة عشر ألف مقاتل، وأن الإسبان هاجموا المدينة من جهة البحر، وأن الشيخ عبد الله بن شرف الذي اختاره الطرابلسيون والياً عليهم أسره الإسبان ونقلوه إلى ميسينا (زاده،1989:36).

ويضيف زاده بوصول مجموعة من الأسرى تقدر بحوالي ألف وأربعمئة أسير، وأن الأسرى قد بيعوا بالمزاد العلني بسعرٍ تراوح ما بين ثلاث وخمس دوكات للشخص الواحد، ويشير زاده ليست الدوافع هي التوسع الاقليمي والنفوذ السياسي بل كان الهدف نشر الديانة المسيحية الكاثوليكية ومحاربة الاديان الاخرى، ولهذا السبب لم تستقر إسبانيا في شمال افريقيا (زاده،1989:39).

ويعلق رضا نور في مؤلفه طرابلس الغرب طرق مواصلاتي، فقد كان عدد كبير في دواخل طرابلس وتونس، يدعون الأهالي للجهاد، وألحقت طرابلس الغرب بمملكة صقلية حيث اديرت مباشرة من حكومة نائب الملك الذي كان يقيم في صقلية (نور،1915:189).

ويضيف نور قائلاً:- "وفي منتصف يناير استدعى الكونت ديغو دي فيرا الذي كلف بإدارة مدينة طرابلس، وعين مكانه دون جيم دي ريجوسن (Done Joyne de Regueses) يرافقه مجموعة من هيئة فرسان القديس يوحنا القائمة في جزيرة رودس"(نور،190:1915).

ومع اقتراب السفن العثمانية من شواطئ طرابلس وقامت بقصف التحصينات الإسبانية، ودلت العمليات المشتركة التي نفذها العثمانيين والمجاهدون الليبيون على قيام تعاون وثيق بين هاتين القوتين المعاديتين للإسبان (كورد،161:1982).

اما القائد الكونت بدرو دي نافارو تشير المصادر الأجنبية قد عمل لحسابه الخاص تم في خدمة ملك إسبانيا فرديناند ووقع اسيراً للفرنسيين في تونس واطلق سراحه الملك فرانسوا الأول ملك فرنسا، وعمل في خدمة فرنسا وتم القبض عليه عندما أنسحب الفرنسيون من نابولي، وأمر شارل الخامس أن يخنق في زنزانته (Hassall,1919:242)

وفي عام 1517م تصاعد النفوذ العثماني وازدادت هيبة السلطنة إلى درجة كبيرة بعد سقوط الدولة المملوكية. لكن طرابلس لم تنضم الى السلطة العثمانية الا في عام 1520م (Hassall,1919:245).

وفي سنة 1520م أثبتت الدولة العثمانية أقدامها فوق الساحل الجزائري من البحر الأبيض المتوسط، وكانت تعمل على حماية المسلمين في شمال أفريقيا، وتحويل الجزائر قاعدة لها ضد التوسع الإسباني في شمال أفريقيا (بروشين،26:1991).

أما الأخبار التي رددها المؤرخ إتوري روسي في مؤلفه طرابلس تحت حكم الإسبان ، حول وصول الوفد من طرابلس الغرب إلى الاستانة ، فقد كانت مفعمة بالخيال ، دخل العثمانيين كقوة حامية، عندما استنجد بها الطرابلسيين، وقام وفد من تاجوراء بالسفر عن طريق البحر إلى الاستانة سنة 1520م طلباً النجدة والمساعدة من السلطان العثماني سليمان القانوني، لإنقاذ بلادهم من حكم الإسبان وعندما وصل هذا الوفد إلى الاستانة تعجب العثمانيين من مسلك أعضائه وسألوهم عن المكان القادمين منه فأجابوا بأنهم من طرابلس وأنهم قدموا إلى الاستانة التماسا لمعونة السلطان العثماني (روسي،63:1985).

ويؤكد كارل بروكلمان صاحب كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية إن من أبرز النتائج التي أسفرت عن سيطرة الإسبان على طرابلس وبقية المناطق الأفريقية الأخرى أن هذه المناطق بأسرها دخلت في إطار السياسة الأوروبية ولأكثر من عقدين من الزمن (بروكلمان،127:1965).

ويضيف كارل أن الحملات التبشيرية وجدت في تلك المناطق مرتعاً خصباً لها، لكن دخول العثمانيين الساحة الإفريقية حطم الآمال السياسية لأوروبا والأحلام الدينية للبابوية، علماً بأن الإسبان كانوا يدركون أن احتلال مناطق الشمال الإفريقي أمر ضروري لأسباب عدة منها: السياسية والاقتصادية، فضلا عن الأسباب الدينية، ولم يتصوروا يوماً أن الإسبان قد يصلون إلى مناطق الشمال الإفريقي (بروكلمان،1965:129).

ولهذا أسرفوا في ارتكاب أعمال منافية للقيم الإنسانية، وصفها المؤرخ مارتن أشوام عبر موجة نزوح جماعي ، مشياً على الاقدام وعلى عربات الحمير وغيرها من البهائم ، إلى المناطق المجاورة لطرابلس، وكان من أثار التهجير الجماعي للأهالي حصل العديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ونزوح أعداد كبيرة منهم إلى المدن المجاورة ، هذا الإسراف الإجرامي دفع الطرابلسيين الذين تعرضوا للإهانات الإسبانية والقتل الجماعي على يد الإسبان إلى طلب النجدة من العثمانيين، علماً أن العثمانيين كانوا قد بدأوا يفرضون هيمنتهم على معظم المدن الجزائرية (A.S.Hume,1940:17).

لم يستسلم الطرابلسيون للاحتلال الإسباني، فلقد تكاتفوا بكل مدنهم وقراهم لاستعادة مدينة طرابلس حيث أقاموا مراكز تنظيمية في الجبل الغربي وتاجوراء ومصراته، بغية شن هجمات فجائية ضد الإسبان الذين عدّوا احتلالهم لطرابلس الغرب نصراً للمسيحية بأسرها، ونظَّموا أمورهم الإدارية والجمركية فيها بهدف تنظيم الأمور التجارية بين المسلمين والمسيحيين، وفرضوا ضرائب على البضائع المتبادلة بنسبة عشرة بالمئة، في حين أعفيت المواد التموينية الخاصة بالحامية من الضريبة، كما أضافوا على الغنائم البحرية التي يحملها القراصنة المسيحيون للبيع في أسواق طرابلس بنسبة عشرة بالمئة فضلا عن الحقوق الأميرالية (أوغلو،1993:61) .
لم يكتفِ الإسبان باحتلال طرابلس واسترقاقها والمدن المجاورة لها، وأعلن نائب الملك بصقلية كاتانيا أنه سيقدم للراغبين، بالقدوم إلى طرابلس والإقامة بها مساكن لائقة مع أراضٍ زراعية جيدة. زيادة عن إعفائهم من الضرائب' أو الرسوم لمدة عشر سنوات مع مساعدات أخرى (علاء الدين،2014:332).

وهذا يدفعنا بالقول فقد سئم الأهالي حياتهم في ظل الاحتلال الإسباني المتهالك وغدت لقمة العيش حلماً يراود أدهان غالبية الأهالي ،لأن الطرق التي شقتها القوافل التجارية سابقاً ، ردمتها الرمال ، وغدت من الصعوبة تحديد معالمها حتى على الأهالي ، والقبائل ضاعت وسط متاهات التغيير ، فقد تخلت عن طبيعتها البدوية ، ودمرت وسط مدينة ، أفقدها الصراع السام وكل مايدلل عليها أو يميزها من الضياع القائم في طرابلس والأجانب يحاولون وبدهاء تعميق الجمود

وإذكاء الصراع وتجسيد الفوضى و الاضطراب وهكذا نرى أن اضطراب الأمن أسفر عنه جمود الحياة الاقتصادية ولاسيما في طرابلس الفقيرة بإمكاناتها الزراعية ، أن صراع الجند الإسبان على اقتسام الغنائم ولد جموداً اقتصاديا ظلت طرابلس تدفع ثمنه وتتحمل نتائجه قرونا زمنية وعلينا أن ندرك أن لكل عصر سماته وطابعه المميز، وأبناء طرابلس الغرب الذين عرفوا بالشجاعة والتضحية، فضلا عن مايتحلون به من صبر، فقاوموا غزاة القرن السادس عشر مقاومة سجلها التاريخ بكل فخر.

لقد كان نائب الملك في صقلية دون هوجو دي مونكادا (Don Hooger de Moncada) يفكر في زيادة إعداد المسيحين في طرابلس، و عمدوا إلى تشجيع الهجرة إليها، ولهذا فقد رفض مطالب النازحين من طرابلس لأنهم اشترطوا بأنهم لن يعودوا إلى المدينة ما لم يطلق سراح الشيخ عبدالله بن شرف حاكم طرابلس، الذي اقتيد أسيراً إلى صقلية، وحينما لم تلق رغباتهم استجابة من الإسبان بالقدوم إلى طرابلس للإقامة بها، اشترط نائب الملك في صقلية أنه لا يطلق سراحه ما لم يعده بالتهدئة وتسوية الأوضاع في المدينة (Bertrand,1945:416).

فضلاً عن ذلك فإن رسالة الملك (شارل الخامس) التي وجهت إلى نائبه بصقلية يأمره بضرورة إعادة الشيخ إلى طرابلس اضطر نائب الملك إلى إطلاق سراح الشيخ عبد الله بن شرف سنة 1520م للتخفيف عن الجاليات الاوروبية والقوات الإسبانية التي كانت تواجه هجمات فجائية من الأهالي (Booth,1934:269).

أما عن عودة حاكم المدينة إليها شيخ طرابلس فقد تمت في 12-إبريل عام 1520م صدر قرار الموافقة على إعادته إلى طرابلس وعودت الاسرى (كربخال،211:1989)

اما شاويش سليمان فيذكر في مؤلفه غزوات خير الدين بربروس، لقد عاشت الجاليات الأوروبية والحامية الإسبانية في طرابلس الغرب وضعاً قلقاً ومضطرباً فالجزائريون بقيادة عروج وأخيه خير الدين بربروس ألحقوا هزائم فادحة بالإسبان لدرجة أن الملك شارل الخامس ملك إسبانيا تدارس مع قادته أوضاع قواته في مناطق الشمال الإفريقي ، ويضيف شاويش كانت سواحل إسبانيا قد هجرها أهلها، لأنهم لم يلقوا حماية من دولتهم وليس بمقدورهم مواجهتها، كذلك فإن الطرابلسيين شاركوا في تلك الأعمال البحرية واستبسلوا في ضرب الإسبان بإلحاق الأذى بهم رداً على جرائمهم في مدينتهم (سليمان،104:1999)

وتفيد المصادر المقربة من العرش الإسباني، الأب دي هايدو**، الذي يروي لنا في مؤلفه تاريخ شمال افريقيا في القرن السادس عشر نقلاً عن مارتن أشوام في مؤلفه إسبانيا عظمائها و

اضمحلالها ويؤكد أن الملك أقترح على مجلسه الاحتفاظ بالجزائر وسواحل تونس ، لكن قادته أصروا على ضرورة الاحتفاظ بمناطق الشمال الإفريقي بأسرها ، لأن انسحابهم يشجع آل بربروس على مهاجمتهم ولن يحققوا أية فوائد اقتصادية ، وأن الصراعات التي كانت تتم بين الجنود الإسبان في الشمال الإفريقي ساهمت في تمزيق نفسية الجند أنفسهم ، ويضيف مارتن أشوام بإن الطرابلسيون والجزائريين القراصنة شجعان لا يعرفون الخوف ، ويعرج ويقول لقد فشلت المحاولات الإسبانية في ضمان استقرارهم في طرابلس ، فضلاً عن ذلك، فإن الإسبان لم يلبوا الدعوة للإقامة في طرابلس، ولهذا فقد كتب نائب الملك في صقلية رسالته إلى الملك شارل الخامس يخبره أن فكرة الاستيطان في طرابلس الغرب بالمسيحيين فكرة لا تفيد الإمبراطورية الإسبانية ، وأن الطرابلسيين والجزائريين والعثمانيين يهاجمون قواتنا ، وهذا يتطلب مدهم بقوات أخرى ليتمكنوا من ملاحقة العصاة للمسلمين الذين يستعينون وحسب زعمه بآل بربروس ، التي تدفعهم الدولة العثمانية إلى العصيان في شمال إفريقيا ، وأن قدوم البحرية العثمانية لم يكن بقصد الدفاع عن المسلمين ضد الهجمات الإسبانية بل جاؤوا البحارة إلى شمال إفريقيا لممارسة الاعمال البحرية ، والبحارة العرب قد تركوا القيادة البحرية إلى العثمانيين .(A.S.Hume,1940:201)

وهذا يدفعنا بالقول يجب أن نشير على الرغم من أهمية الكتاب قد ارتكب لبس تاريخي مهم ، عندما ينسب الأعمال البحرية التي يقوم بها العرب إلى العثمانيين فسكان شمال إفريقيا لم يقبلوا العثمانيين ليتعلموا منهم الشجاعة بل لأنهم كانوا العثمانيين بحماية العالم الاسلامي في تلك الحقبة الزمنية ولا يمكن تجاهل الرابط الديني الذي كان يربط العرب والعثمانيين ، وهل يعقل إذا كان البحارة العرب قد تركوا القيادة البحرية إلى العثمانيين فهل يعني البطولات اليهم وتجاهل أبطال البحرية في ولاية طرابلس والجزائر على الرغم من الاقتتال الدائر فقد أثبتت حركة الجهاد البحرية تواجدها في شمال إفريقيا واستطاعوا ايقاف الزحف الإسباني وتحقيق انتصارات كبيرة برعاية الدولة العثمانية .

وفي إطار حقبة الدراسة في ولاية طرابلس الغرب حتى 1930م ويتحدث ويت بورتر، في مؤلفه تاريخ فرسان مالطا لقد تطورت هيئة فرسان القديس يوحنا، وكانت في بادئ الأمر هيئة دينية مهمتها مساعدة المرضى والعجزة ورعاية أحد الملاجئ، وكان مقرها في جنوب سورية. ثم انتقلت إلى القدس، وبدأت بممارسة الأعمال الخيرية، والاهتمام بالحجاج المسيحيين القادمين إلى القدس، وبعد الحروب الصليبية ، تحولت إلى منظمة دينية فرسانية تحت حماية القديس (يوحنا باتيسيا) وأطلق على أعضائها اسم اليوحانيين ، ومن ثم تحولت مهمة تلك المنظمة واعتمدت

الطابع العسكري الجهادي ضد المسلمين وبالغوا كثيراً في عدائهم للمسلمين وشددوا في ضربهم، وبتاريخ 4 أكتوبر سنة 1524م وجَّه المرشد الأكبر رسالة استعطاف إلى الملك شارل الخامس يطلب منه منحهم جزيرة مالطا، وقد رحب الملك بطلب المرشد بعد ما اشترط عليه أن تتولى منظمته الدفاع عن قلعة طرابلس ومقاتلة أعدائه، وتقرباً من البابا عمد الملك شارل الخامس إلى منحهم جزيرة مالطا مركزاً روحياً وطرابلس الغرب مقراً عسكرياً، قاصداً من ذلك التخلص من عبء احتلاله لطرابلس الغرب بعد ما صمم على مقاتلة العثمانيين الذين يسعون للتمركز في الجزائر، لقد قرر الإمبراطور شارل الخامس التنازل عن طرابلس الغرب لفرسان القديس يوحنا فوقع في 24 مارس سنة1530م مرسوم التنازل في كاستيل فرانكوبولونييز(Castiel Franco) (Porter,1858:37)Bolonnie

أما جوناتان ريليكس سميت، في مؤلفه فرسان ستيل جوبا فيذكر أن الفرسان ردوا في 1530/6/10م على تكُّرم الإمبراطور بأن المسافة ما بين مالطا وطرابلس الغرب بعيدة وهذه يحتاج إلى نفقات باهظة ليس بمقدور المنظمة تحملها، إلا أن البابا وجه أمره البابوي بضرورة قبول رغبة الإمبراطور شارل الخامس وتعهد لهم بتقديم مساعدات مالية ريثما يتمكنون من تسوية أمورهم في جزيرة مالطا وطرابلس الغرب' ويضيف ريليكس أن المرشد الأكبر ردَّ على الإمبراطور رداً جميلاً وتعهد له بحماية قلعة طرابلس ومساعدته في محاربة العثمانيين(Rilex,1967:103)

أما شاويش سليمان سيفي فيذكر، في مؤلفه غزوات خير الدين بربا روس*** إن الامبرطور تعهد بتقديم السفن للفرسان عند محاربتهم العثمانيين في الجزائر و عمد الفرسان إلى الاستقرار أولاً في جزيرة مالطة، وبعد عدة شهور أرسلوا سفينتين إلى طرابلس تحملان العتاد والمؤن مع جنود فرسان القديس بإمرة جسباري دي سنقوسا كأول حاكم توفده المنظمة إلى طرابلس الغرب (سليمان،1999:200-201)

أجمعت المصادر العثمانية ولاسيما كتاب أوغسي كورد على القول إن الإسبان أدركوا أنه ليس بمقدورهم فرض سيطرتهم على مناطق الشمال الأفريقي، لأن العثمانيين تمركزوا في الجزائر حاملين راية الدفاع عن الديار الإسلامية، وأن الأخوة بربا روس امتلكوا المياه الأفريقية بعد ما تمكنوا من طرد الإسبان من قلعة بنون، ونقلوا حجارتها لإنشاء ميناء تحتمي به سفنهم (كورد،1982:168)

أما أكمل الدين إحسان أو غلو، فيذكر في تاريخه، من المؤكد أن وجود العثمانيين في الجزائر قد أقلق الإمبراطور شارل الخامس، وأن المقاومة الطرابلسية قد أنهكت الحامية الإسبانية في طرابلس (أوغلو،1993:66).

وبسبب الغارات المتكررة على الحامية الإسبانية ، وسوء الأوضاع المعاشية، ولانشغال الإمبراطور شارل الخامس بحروبه مع فرانسوا الأول ملك فرنسا ، وفضلاً عن محاربته اللوتريين في ألمانيا ، وفضلاً عن التخلص من الأعباء المالية الضخمة التي تصرف على الحامية في طرابلس ، وما أن جاءه طلب المرشد حتى سارع إلى منحهم طرابلس كمركز عسكري، قاصداً من ذلك التخلص من ثقل نفقاتها ، ونقل قواته لمقاتلة العثمانيين المتمركزين في الجزائر، وقد اشترط الإمبراطور على الفرسان مساندته في مقاتلة العثمانيين وحماية طرابلس وقلعتها، وقد قبل الفرسان شروط الإمبراطور لأن ظروفهم لا تساعدهم على الرفض أو التملص من ذلك(خضير،2007:111-112).

فقد قاموا بإضافة الأبراج لقلعة طرابلس التحصين والبناء بصورة عامة (الكيب،1978:73-74).

وقد تم تعيين القسيس جسباري دي سنقوسا أول حاكم من قبل فرسان القديس يوحنا على طرابلس الغرب عام 1530م(Porter,1858:8).

الخاتمة

1- شجعت إسبانيا على السعي لنقل حربها ضد المسلمين في طرابلس ذلك التوجه كان السمة الأساسية للسياسة الإسبانية في القرن السادس عشر وكان للقيادة الإسبانية أسبابها في اختيار الموانئ الليبية، وهكذا كانت الإمبراطورية الإسبانية تتصارع من منظور الحرب بين المسيحية الكاثوليكية والمسلمين.

2- أن هذه التراكمات من الأخطاء التي فرضها الإسبان في الشمال الأفريقي، وفقدان طرابلس لمعظم مواردها، وتوقف الحياة التجارية، ازدادت اللصوصية وغدا هواتها ومحترفوها يعترضون سبيل المارة، ويهاجمون ضواحي المدن، واضافة إلى اللصوصية، ولدت طبقة أشد خطراً من اللصوصية، وهي فئة قطاع الطرق، فقد أسهمت هذه الفئة في توقف الأعمال التجارية بين المدن الليبية نهيك على الضرائب التي فرضتها الإمبراطورية الإسبانية على القوافل المتجهة والقادمة إلى طرابلس .

3- وواقع الأمر فقد سئم الأهالي حياتهم في ظل الحامية الإسبانية المتهالكة، وغدت لقمة العيش حلماً يراود اذهان غالبية سكان طرابلس الغرب، لأن الطرق التي سقتها القوافل التجارية سابقاً ردمتها الرمال، وغدا من الصعب بشيء تحديد معالمها حتى على الأهالي، والقبائل ضاعت وسط متاهات التغير، والأجانب يحاولون تعميق الجمود وتجسيد الفوضى والاضطراب، حيث أسفر عن هذه الازمة السياسية

مصاعب اقتصادية خانقة ، وبمعرفتنا أن البحاثة يعلمون ذلك جيداً ، أما بالنسبة القارئ الكريم فنحن نوضح ذلك .

4- أن الصراعات التي كانت تتم بين الجنود الإسبان، ساهمت في تمزيق نفسية الجند أنفسهم وكانت غزواتهم تعبيراً عن مرحلة جهادية فرضها ملوك إسبانيا بتعصبهم الأعمى وحقدهم الأسود ويصف الأب دي هايدو هؤلاء القرصنة في الشمال الافريقي ولاسيما الطرابلسيين والجزائريين بأنهم شجعان لا يعرفون الخوف والجزع ابداً لأنه كان أسيراً في الجزائر ويضيف وإذا كان تاريخ القرصنة قد شهد تصرفاً قاسياً فمرده البحارة الأوروبيين.

5- فقد كانت طرابلس الهدف للحملة الإسبانية فرضت إسبانيا أقصى الإجراءات التعسفية على طرابلس في محاولة لتنفيرهم وتضييق الخناق عليهم ، نتيجة لذلك لجأ الاهالي إلى القيام بثورات في أغلب المدن ، لكن أخمدت الحامية الإسبانية تلك الثورات بدون رحمة ، وكان لسقوط طرابلس نتائج كبيرة شكلت نجاحاً للسياسة الإسبانية تمثلت في توسيع نطاق عمليات الإسبان الحربية التي انطلقت تقتل وتأسر وتستبيح بحضور نافارو ومباركته ، وروعت التقارير حول الأعمال الوحشية والنهب الذي قام به رجال الحملة الإسبان في المدينة واقتسامها للجنود الإسبان وكان نصيب نافارو منها وفيراً ، واتجه على تحويل مسجد المدينة الى كنيسة وجعل المسجد الأعظم كاتدرائية .

6- أن خطورة فرض الضرائب على الأهالي دون سواهم، ما أصابهم بخيبة أمل مريرة لأنهم كانوا يتوقعون سياسات أقل إجحافاً، وصفها الكاهن والمؤرخ مارتن أشوام عبر موجة نزوح جماعي، مشياً على الاقدام وعلى عربات الحمير وغيرها من البهائم، إلى المناطق المجاورة لطرابلس، وكان من أثار التهجير الجماعي للأهالي ونزوح أعداد كبيرة منهم إلى الجبل الغربي وتاجوراء ومصراتة وترهونة وبني الوليد، حينما حدثت العديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في هذه المناطق.

7- كان للإهمال الكبير في تحصين المدينة وإعداد دفاعاتها دوراً كبيراً في سرعة احتلالها من الإسبان ويرجع ذلك إلى عدم اهتمام أهلها وشيخها عبدالله بن شرف مما أثر سلباً على قوتها.

8- أن الثورات التي واجهت الإمبراطورية الإسبانية في الشمال الأفريقي انبثقت بغالبيتها فتوارثوا ذلك جيلاً بعد جيل ، وبعد ذلك طلبوا مساعدة السلطان العثماني لانقاد بلادهم من حكم الإسبان ، وبتوجيه سلطاني ودعم إنكشاري وتأييد من أعيان وعلماء طرابلس ، وكانت ردود الفعل المحلية أسهمت في ايقاظ الوعي الديني والوطني

بالاستنجاد بالدولة العثمانية وقام وفد من تاجوراء بالسفر عن طريق البحر إلى الاستانة طلب مساعدة السلطان العثماني من ظلم الإسبان على الرغم من القسوة التي اتخذها نافارو حيال ثورتهم لم تخلا من عصاة ومتمردين ما بين الفيه والأخرى.

9- تصدي أبناء طرابلس الغرب للحملة الإسبانية ودفاعهم المستميت عنها إلى جانب أبناء المدن الليبية الواقعة حولها والتي تشكلت فيها حركة للمقاومة لمواجهة العدوان وبقيت طرابلس شوكة في حلقهم فلم يتمكنوا من تجاوز أسوارها وبقوا داخلها الإسبان في حصار لمدة عشرين سنة حتى انهيار الاحتلال ، وفشلت الحملة في تحقيق أهدافها نظراً للمقاومة الشديدة التي واجهتها من أبناء طرابلس الغرب ولعل الحصار الذي حول أسوار المدينة كان له بالغ الأثر في تدمير معنويات الإسبان وجعلهم يفكرون بالفرار بعيداً ويبتعدون عن المدينة ويسلمونها لفرسان القديس يوحنا عام 1530م.

المصادر

1.أوغلو، أكمل الدين إحسان (1993) تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة علي شعيب،ط1،مطبعة الإخاء،اسطنبول.

2.الجمل،شوقي (2003) المغرب العربي الكبيرمن الفتح الاسلامي إلى الوقت الحاضر ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصي (مراكش) ، منشورات المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،القاهرة.

3.الكيب،نجم الدين غالب (1978) مدينة طرابلس عبر التاريخ، ط2، منشورات الدار العربية للكتاب ، ليبيا.

4.المطوى،محمد العروسي (1986) السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي،منشورات دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان.

5.برنشفيك،روبار (1988) تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ،ترجمة حمادي الساحلي،ط1،منشورات دار الغرب الاسلامي بيروت ،لبنان.

6.بروشين،ن إ (1991) تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن السادس عشر–مطلع القرن العشرين،ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،ليبيا.

7.بروكلمان،كارل (1965) تاريخ الشعوب الإسلامية،ط3،ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، منشورات دار العلم للملايين، بيروت،لبنان .

8.خضير،رابحه محمد (2007) دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني 1555م،المؤتمر العلمي السنوي الأول ، كلية التربية جامعة الموصل،المنعقد بتاريخ 23-24 أيار/،منشورات أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد 6 ، العدد2 بغداد.

9.روسي،إتوري (1985) طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ط2، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي،المنشاة العامة للنشر والتوزيع،ليبيا.

10.زاده،عاشق باشا (1989) تاريخ طرابلس الغرب ، ترجمة محمود عامر، منشورات مطبعة انقره.

11.سليمان،شاويش (1999) غزوات خير الدين بربا روس، ترجمة محمود عامر، ط1، مطبعة توب كابي، اسطنبول.

12.طرخان، أوغلو (1983) قراءة محايدة طرابلس الغرب، ترجمة وليد أحمد، ط1، منشورات مطبعة سي،اسطنبول.

13.عامر،محمود علي (1987) تاريخ المغرب العربي الحديث ،ط2،منشورات مطبعة الانقاد،سوريا .

14.علاء الدين، إبراهيم (2014) أوضاع ليبيا ما بين الاحتلال الإسباني والنجدة العثمانية 1510-1551م،منشورات مجلة دراسات تاريخية،العدد 127،جامعة تشرين،سوريا.

15.فارس،محمد خيرالدين (1999) تاريخ المغرب العربي الحديث، منشورات جامعة دمشق،سوريا .

16.فيرو،شارل.(1970) الحوليات الليبية منذُ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي،نقلها عن الفرنسية محمد عبدالكريم الوافي ،منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس،ليبيا.

16.كربخال ، مارمول (1989) أفريقيا، ترجمة محمد حجي،دار المعرفة للنشر والتوزيع ،الرباط ، المغرب.

18.كورد،أوغسي (1982) الاتراك في مياه المتوسط ، منشورات مطبعة السليمانية، اسطنبول

19.للحسن،لوزان (1980) وصف إفريقيا،ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر،ط2،منشورات الجمعية المغربية، المغرب.

20.نور،رضا علي (1915) طرابلس الغرب طرق مواصلاتي، ط2، مطبعة اسمايل، اسطنبول.

المراجع الاجنبية

21:A.S. Hume, Martin (1940) Spain Its Greatness and Decay (1479-1788).Cambridge, University, Press.

22. Bertrand, Louis (1945) The History OF Spain, Second Edition, part 1, London, Eyre &Spottis Woode.

23. Booth, Edwin (1934) Luther (1483-1546), Paris.

24. Hassall, Arthur (1919) France Medieval And Modern, oxford, Clarendon Press

25. Lynch, John (1981) Spain under the Habsburg Second Edition, One 1516-1598, Oxford, Basil Blackwell.

26. Mariejol, Jean Hippoly., the Spain of Ferdinand And Isabella, Translated By.

27. Merriman, Roger Bigelow (1962), The Rise OF the Spain Empire, Volume II, III, New York, Cooper Square Publishers Inc.

28.Porter,Whit (1858) A History of the Knights of Malta,vol II Malta,London, Longman, Brown, Green, Longman & Roberts

29. R.Davise, Trevor (1961) The Golden Century OF Spain 1501-1621, London.

30. Rilex, Smith Jonathan (1967) The Knights OF St,John In Jerusalem Andcypnis,London.

- *ولد بيدرو نافاروا في غار مملكة نافار الإسبانية في عام 1460م، وكان مهندس عسكري وبحار إسباني، وهو أحد العناصر الفاعلة في صراعات البحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن السادس عشر عمل لحسابه الخاص ثم في خدمة ملك إسبانيا فردنياند وبعدها في خدمة ملك فرنسا فرنسوا الأول ومن المعروف أنه قدم مساهمة كبيرة في تحسين تكنولوجيا الألغام الأرضية وتم القبض عليه عندما انسحب الفرنسيون من نابولي وأمر شارل الخامس أن يخنق في زنزانته في 28أغسطس 1528م للمزيد راجع Mariejol, Jean Hippoly.,op cit,p307

- ** الاب دي هايدو، ولد المؤرخ الإسباني في كارانسا في جبال البرانس على الحدود الفرنسية الإسبانية وينتمي إلى عائلة عريقة من مقاطعة البسكاي كان مقرب من العرش الإسباني، أصبح قسيس تم رئيس الدير في فرومستا ويؤكد رجل الدين والمؤرخ بيار دان في كتابه في مكتبة مازارين أنه الاب هايدو أسر في الجزائر وفك اسراء ومرح كثيراً صفاتهم الجيدة وقدمها كعبرة للمسيحيين ليقتدوا بها للمزيد راجع مارتن أشلوم، مرجع سابق،.

- *** كان خير الدين قد مارس القرصنة بتوجيهات من كوركود نجل السلطان العثماني بايزيد الثاني وبرز أسم خير الدين بربروس في الحملات البحرية المناوئة للأسبان في غرب المتوسط وقد اعترف العثمانيون بهذه التطورات الجارية على الأراضي في شمال إفريقيا، وعرضوا الدعم المالي والسياسي لمنصب أمير البحر في غرب المتوسط على خير الدين الذي حمل لقب بربروس، لقتال الإسبان ثم توفي خير الدين بربروس في القسطنطينية عام 1546م بحسب دائرة المعارف العثمانية، للمزيد راجع عاشق زاده، مرجع سابق، ص367.